بسم الله الرحمن الرحيم

الدرس الأول

المجلس الثاني

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

وبعد..

نبدأ مستعينين بالله عَزَّوَجَلَّ في قراءة هذا الكتاب: [**منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات**] للشيخ العلامة محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

المتن:

بسم الله الرحمن الرحيم، قال المصنف -رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى-:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمدٍ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين، أما بعد..

فإنا نريد أن نوضح لكم معتقد السلف والطريق الذي هو المنجى نحو آيات الصفات:

أولًا: اعلموا أن كثرة الخوض والتعمق في البحث في آيات الصفات وكثرة الأسئلة في ذلك الموضوع من البدع التي يكرهها السلف.

الشرح:

استهل المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ وغفر له وأسكنه الجنة، وجزاه خير الجزاء وأوفره، هذه الرسالة القيمة بحمد الله عَزَّوَجَلَّ والصلاة والسلام على رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثم بيَّن الغرض الذي لأجله ألقى هذه المحاضرة وأصدر هذه الرسالة:

قال: (**إنا نريد أن نوضح لكم معتقد السلف والطريق الذي هو المنجى نحو آيات الصفات**)؛ وجرت عادة كثير من المصنفين أن يستهلوا مصنفاتهم لبيانٍ الغرض الذي لأجله ألف، أو صنف، أو كتب حتى يكون القارئ والمطلع على بينة فيما سيقرأ، ويطلع عليه في الكتاب الذي بين يديه، وهذه الرسالة أُلفت لتوضيح معتقد

السلف الصالح، هذا الغرض الذي أُلفت لأجله، وينبغي أن تعلم هذا أنها أُلفت وبُينت واجتهد الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ فيها ليُبيِّن العقيدة التي كان عليها سلف الأمة الصالح -رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وأرضاهم-.

وهذا الطريق الذي كان عليه السلف كما أوضح المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ هو الطريق الذي به النجاة في آيات الصفات، وأمور الاعتقاد، وجميع أبواب الدين، فالطريقة التي كان عليها السلف الصالح هي الطريقة المنجية، هي الطريقة التي فيها سلامة العبد من الزلل، أمانه من الانحراف، كما قال الإمام مالك بن أنس رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "السُّنَّة سفينة نوح فمن ركبها نجا، ومن تركها غرق"، فطريقة السلف رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ طريقة قائمة على السُّنَّة سُنَّة النبي الكريم عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ فهي التي بها تكون النجاة، ولهذا ترى في كثيرٍ من المصنفات لأهل العلم في الاعتقاد يُصدِّر مثل ما فعل شيخ الإسلام ابن تيمية في أول الواسطية، قال: "هذه عقيدة الفرقة الناجية"، أي: أن النجاة والطريقة المنجية تكون بذلك، ومعنى ذلك أن من ترك هذه الطريقة فقد عرض نفسه للهلاك، ومن سلك هذه الطريقة فقد سلك بنفسه طريق النجاة، فالطريقة التي عليها السلف الصالح رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ في الاعتقاد هي الطريقة المنجية كما ذكر الشيخ، وكما عبَّر غيره هي عقيدة الفرقة الناجية، وهذا المعنى مستمد من قول النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الحديث الصحيح: «**وَسَتَفْتَرِقُ هذه الأمة عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فرقة كلها فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِدَةً**»، إِلَّا وَاحِدَةً أي: ناجية، فالنجاة إنما تكون بهذا المعتقد الحق، والإيمان السليم القائم على كتاب الله عَزَّوَجَلَّ، وسُنَّة رسوله -صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ-.

وهذه العقيدة المنجية لها خصائص تمتاز بها عن غيرها من عقائد الناس أيًّ كانوا ومهما كانوا، وأبرز هذه الخصائص أربعة خصائص:

الأولى: أنها عقيدةٌ قائمة على كتاب الله وسُنَّة رسوله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، فهي عقيدةٌ مستمدةٌ من الكتاب والسُّنَّة، ولذا ترى في مصنفات أهل العلم في هذا الباب يقولون: نصف الله بما وصف به نفسه، وبما وصفه به رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا نتجاوز القرآن والحديث، وهذا لفظ الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ونظائره كثير عند أهل العلم من أهل السُّنَّة والجماعة، فهي طريقةٌ وعقيدةٌ مستمدة من كتاب الله عَزَّوَجَلَّ وسُنَّة رسوله -صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ-.

الأمر الثاني: أنها عقيدة توافق العقول السليمة، العقول الصحيحة، والفطر السليمة، فليس فيها ما يُخالف العقل السليم، وليس فيها ما يُخالف الفطرة السليمة، فهي عقيدةٌ توافق العقول السليمة، وتوافق الفطر

المستقيمة التي لم تنحرف، أما إذا انحرف العقل وفسدت الفطرة فإنها ستكون مخالفة للاعتقاد الحق المستمد من كتاب الله عَزَّوَجَلَّ وسُنَّة نبيه -صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ-.

ولهذا يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في رسالته الحموية، يقول: "اعلم أنه ليس في العقل الصريح ولا في شيءٍ من النقل الصحيح ما يوجب مخالفة الطريقة السلفية أصلًا"، الطريقة السلفية أي: الطريقة التي عليها السلف الصالح من لزوم الحق والهدى، والاعتصام بحبل الله والتمسك به، والبعد عن الانحراف ووسائله وأسبابه.

الأمر الثالث: أن هذه العقيدة عقيدة توسطٍ واعتدال لا غلو فيها ولا جفاء، ولا إفراط فيها ولا تفريط، وهذا أمرٌ امتازت به عقيدة أهل السُّنَّة، عقيدةٌ وسط بين طرفي الغلو، فهي سُنَّة فهي حسنةٌ بين سيئتين، وهدىً بين باطلين، باطل الغلو وباطل الجفاء، فليس فيها أي غلوٍ وليس فيها أي جفاء، ليس فيها إفراطٌ وليس فيها تفريط، وإنما هي على الاعتدال والقوام والوسط، كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾[سورة البقرة، من الآية:١٤٣]؛ أي: شهودًا عدولًا على القوام وعلى السداد، لا غلو ولا جفاء.

الأمر الرابع: مما امتازت به هذه العقيدة أنها سلمت من الانحرافات والخلل الذي وقعت فيه الطوائف الكثيرة، وباب الانحراف، أو أبواب الانحراف في الاعتقاد كثيرة جدًا، وفي باب الصفات كثيرة:

- فمنهم من نحى في انحرافه منح التعطيل، والتعطيل أنواع.
- ومنهم من نحى منح التحريف.
- ومنهم من نحى منح التشبيه والتمثيل إلى غير ذلك من الانحرافات التي وقعت فيها الطوائف في هذا الباب.

أما أهل السُّنَّة سلموا من ذلك كله، فمنهجهم قائم على الإثبات لله عَزَّوَجَلَّ بلا تعطيل، الإثبات بلا تمثيل والتنزيه بلا تعطيل، فهم سالمون من التعطيل، وسالمون من التمثيل، وسالمون من كل ما وقع فيه أهل الضلال والباطل، وسبب هذه السلامة اعتصامهم بحبل الله، وبكتاب الله، وسُنَّة رسوله -صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ- ﴿وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[سورة آل عمران، من الآية:١٠١].

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ عليه: (**فإنا نريد أن نوضح لكم معتقد السلف والطريق الذي هو المنجى نحو آيات الصفات**)؛ أيضًا قول الشيخ هذا فيه لفت انتباهٍ لطالب العلم والمبتدئ في هذا الفن والمطلع عليه، أن الخوض في هذا الباب خوضٌ كثير، ويجب على من دخل هذا الباب وخاض فيه أن يخوض فيه خوضًا صحيحًا، وأن يدخل فيه دخولًا صحيحًا؛ لأن أمامه طرق كثيرة، وسبل عديدة كلها لا تُفضي إلى الحق ولا تُرشد إليه، وإنما الذي يهدي إلى الحق ويوصل إليه الطريق الذي كان عليه السلف الذي وصفه الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ بأنه الطريق المنجي، فهناك طرق أخرى لا توصل إلى النجاة، ولا تصل بصاحبها إلى بر الأمان، وإنما تصل به إلى الهلاك بحسب بعدها عن صراط الله المستقيم.

قال: (**أولًا: اعلموا أن كثرة الخوض والتعمق في البحث في آيات الصفات وكثرة الأسئلة في ذلك الموضوع من البدع التي يكرهها السلف**)؛ هذا تنبيه غاية في الأهمية، كثرة الخوض في هذا الباب باب الصفات، وكثرة الأسئلة كما أشار الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ عليه من البدع، ومراده بالخوض في هذا الباب؛ أي: الخوض فيه ابتداءً دون اعتمادٍ على كتاب الله وسُنَّة نبيه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وكذلك الأسئلة في هذا الباب المراد بالأسئلة التي يتكلفها أهل البدع كالأسئلة الاعتراضية مثلًا، أو الأسئلة التي يُراد بها التعطيل، أو الأسئلة التي يُراد بها إثارة الشبهات، وإحداث اللبس، أو نحو ذلك من الأسئلة التي تكثر في أهل البدع، فهذا كله من الباطل.

أما دخول الإنسان في هذا العلم الشريف الذي هو أشرف العلوم وأفضلها؛ لأن شرف العلم من شرف معلومه، فاشتغالهم بهذا العلم على أسسه الصحيحة، ومسلكه الصحيح فهذا مما يُنذر حتى وإن طالت عنايته به، وكثر اشتغاله به فهذا لا يُذم؛ لأنه اشتغالٌ بأشرف العلوم، واشتغالٌ بأساس الخير والفلاح؛ لأن معرفة الله عَزَّوَجَلَّ، ومعرفة أسمائه الحسنى وصفاته العليا أساس كل خيرٍ وفلاحٍ في الدنيا والآخرة، كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [سورة فاطر، من الآية:٢٨].

وقال بعض السلف أخذًا من هذه الآية: "من كان بالله أعرف كان منه أخوف"، وذكر هذه العبارة ابن القيم في بعض كتبه وأضاف إليها إضافاتٍ لطيفة، قال: "من كان بالله أعرف كان منه أخوف، ولعبادته أطلب، وعن معصيته أبعد"، وهذا فيه تنبيه أن معرفة الله عَزَّوَجَلَّ معرفةً صحيحة قويمة مبنية على الكتاب والسُّنَّة فيها فلاح العبد، وسعادته في الدنيا والآخرة، فالعبد كلما كان أعرف بالأسماء والصفات على ضوء كتاب الله وسُنَّة نبيه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان في ذلك سعادته وفلاحه في الدنيا والآخرة.

فإذًا قول الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**اعلموا أن كثرة الخوض والتعمق في البحث في آيات الصفات**)؛ أي: تكلف ابتداء شيءٍ، أو إحداث شيءٍ ليس في كتاب الله عَزَّوَجَلَّ، وهنا نتذكر الموقف الذي كان عليه السلف رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ عندما خاضوا في دروسهم وكتبهم في هذا الباب وجسروا عليه؛ لأن كون قلب الإنسان يجسر ويوجد فيه جسارة في الكلام في الله وفي صفاته هذا أمر عظيم جدًا، من الذي يتجرأ أن يقول لله كذا من الصفات، وليس له كذا من الصفات، من الذي يتجرأ؟ من الذي يُجرئ المخلوق الضعيف الناقص ذو العقل الضعيف أن يتكلم في أوصاف الرب العظيم، ما الذي يجعله يتجرأ؟ السلف رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ ما تجرؤا في الدخول في هذا الباب إلا أن القرآن نطق بالصفات، والسُّنَّة نطقت بالصفات؛ فجسروا في الكلام في هذا الباب في حدود الآيات والأحاديث، وهذه الجسارة التي كانت عندهم في حدود الآيات والأحاديث، ولولا الآيات التي فيها النطق بصفات الله، الآيات والأحاديث ما جسروا على ذلك، فكانوا يكرهون أن يخوض الواحد منهم ابتداءً في الكلام في صفات الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، إلا في حدود ما جاء في كلام الله وكلام رسوله -صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ-، والنقول عنهم في هذا المعنى كثيرة.

جاء في شرح الاعتقاد للحافظ اللالكائي رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه روى عن عبد الله بن المبارك التابعي الجليل أن رجلًا قال له: إني أكره الصفة، عنى صفة الرب، يعني قصد الكلام في صفة الرب عَزَّوَجَلَّ، فقال عبد الله بن المبارك: أنا أشد الناس كراهيةً لذلك، يعني: الكلام في صفة الرب نفسي ما تجسر على هذا الأمر، ولا أقوى عليه، لكن ما الذي أوجد هذه الجسارة؟ قال: أنا أشد الناس كراهيةً لذلك، يعني: الدخول في هذا الباب، قال: ولكن -اسمع-، قال: ولكن إذا نطق الكتاب بشيءٍ قلنا به، وإذا جاءت الآثار بشيءٍ جسرنا عليه، لاحظ! يعني الجسارة متى وجدت عنده؟ إذا نطق الكتاب، وإذا جاءت الآثار بشيء جسرنا عليه، وإلا من الذي يجسر أن يقول الله يوصف بكذا، والله لا يوصف بكذا، وليس عنده في كلامه هذا بينه في كتاب الله عَزَّوَجَلَّ وسُنَّة رسوله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ؟ اللهم إنه يقحم عقله القصير الضعيف القاصر في هذا الأمر العظيم الجليل الذي هو أكبر الأمور وأعظمها.

ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ أورد هذا الأثر في كتابه: [**الرسالة الحموية**] وعلق عليه، قال: "أراد ابن المبارك أن نكره أن نبتدئ بوصف الله من ذات أنفسنا حتى يجيء به الكتاب والآثار" هذا معنى كلامه، معنى كلام المبارك أنا نكره أن نبتدئ بوصف الله، ما معنى نبتدئ؟ يعني: عندما نتحدث بوصف الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ نبتدئ الحديث بوصف الله من قبل أنفسنا، نُنشئ ذلك من قبل أنفسنا دون أن نستند فيه على كتابٍ ولا على سُنَّة، وهذه الحالة التي عليها

أرباب البدع في كتبهم، يقولون: يوصف الله بكذا لكذا، يذكرون أمورًا عقلية، ولا يوصف بكذا لكذا ويبنونه على أمورٍ عقلية دون تعويلٍ على الكتاب والسُّنَّة.

أما كتب أهل السُّنَّة فجادتهم واضحة، نصف الله بكذا لقوله تعالى كذا، ننفي عن الله كذا لقوله تعالى كذا، أو لقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كذا، فهم لا يبتدئون شيئًا وإنما يصفون الله عَزَّوَجَلَّ بالأوصاف الثابتة في الكتاب والسُّنَّة.

يقول عبد الله بن مسعود -رحمة عليه ورضي عنه- في تقرير هذا المنهج الذي عليه الصحابة في هذا الباب وفي عموم أبواب الدين يقول: "إنا نقتدي ولا نبتدئ، ونتبع ولا نبتدع، ولن نضل ما تمسكنا بالأثر"، فإذًا المراد بعدم الخوض في هذا الباب الخوض الذي يبتدئ الإنسان فيه من قبل نفسه كلامًا في حق الله، وفي حق صفات الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وهذه مسألة كبيرة ومهمة في هذا العلم وسيبينها الشيخ في هذه الرسالة بيانًا وافيًا شافيًا بإذنه تعالى.

قال: (**وكثرة الأسئلة في ذلك الموضوع من البدع التي يكرهها السلف**)؛ عرفنا أن المراد بالأسئلة الأسئلة التي فيها تكلف، أو يترتب عليها بحثٌ عن كيفية صفات الله، مثل ما أنكر الإمام مالك رَحِمَهُ اللَّهُ على ذاك الذي سأل عن كيفية الاستواء، كيف استوى؟ فالأسئلة التي فيها بحثٌ في الكيفية الأسئلة التي فيها اعتراض على أوصاف الله، أو على أفعاله هذه أيضًا باطلة، ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾[سورة الأنبياء، من الآية:٢٣]؛ الأسئلة التي يترتب عليها إثارة شبهات، وإحداث بلبلة في عقائد الناس هذه داخلة، فكل أسئلةٍ يترتب عليها هذا المعنى فهي باطلة، أما الأسئلة القائمة على طلب الحق والبحث عنه، وتحري الصواب، والتعويل على السُّنَّة، فهذه أسئلة صحيحة ولا يُلام، وجاء نظائرها في زمن النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ سألوه بعض الصحابة في أشياء تتعلق بالصفات وأجابهم دون إنكارٍ عليه.

مثل ما جاء في حديث رزين لما قال النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**ضَحِكُ ربُنا إِلَى رَجُلَيْنِ**»، فسأله رزين: أو يضحك ربنا؟ وهذا السؤال ليس سؤال اعتراض، ولا سؤال انتقاد، وإنما سؤال استعلام ومعرفة وبيان، أو يضحك ربنا؟ قال: «**نعم**»، فقال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأرضاه: لَا عَدِمْنَا الْخَيْرَ مِنْ رَبٍّ يَضْحَكُ، ولهذا نظائر كثيرة جدًا في المأثور عن السلف الصالح رَحِمَهُمُ اللَّهُ.

إذًا الأسئلة التي يطلب فيها السائل الحق ويتحراه، ويريد الهدى ويطلبه، ويسأل مستفهمًا مستعلمًا مستبينًا الحق، ليس متكلفًا ولا خائضًا في الكيفيات؛ كيفيات صفات الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، أو نحو ذلك من السؤالات فهذا لا بأس به.

المتن:

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى: اعلموا أن مبحث آيات الصفات دل القرآن العظيم أنه يتركز على ثلاثة أسس من جاء بها كلها فقد وافق الصواب، وكان على الاعتقاد الذي كان عليه النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأصحابه والسلف الصالح، ومن أخل بواحدٍ من تلك الأسس الثلاثة فقد ضل.

وكل هذه الأسس الثلاثة يدل عليها القرآن عظيم:

- أحد هذه الأسس الثلاثة هو: تنزيه الله جَلَّ وَعَلَا عن أن يُشبه شيء من صفاته شيئًا من صفات المخلوقين، وهذا الأصل يدل عليه قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾[سورة الشورى، من الآية:١١]، ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾[سورة الإخلاص، من الآية:٤]، ﴿فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ﴾[سورة النحل، من الآية:٧٤].

الشرح:

ثم بدأ الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ بذكر الأسس الثلاثة التي يقوم عليها هذا المعتقد الحق؛ معتقد أهل السُّنَّة والجماعة رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ، ومن باب التنبيه والإشارة هذه الأسس الثلاثة كثيرًا ما يكررها الشيخ -رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْهِ- في كتبه، وجاءت في مواضع عديدة من كتبه رَحِمَهُ ٱللَّهُ؛ سواءً الأضواء أو غيره من كتبه كثيرًا ما يقررها حتى في دروسه، وذلك اهتمامًا بالأساس الذي يقوم عليه البناء، وإذا صح الأساس استقام البناء الذي يُبنى فوقه، فهذه أسس ثلاثة يُبنى عليها المعتقد الحق؛ معتقد أهل السُّنَّة والجماعة قائم على هذه الأسس، فهي بمثابة الأعمدة التي يرتكز عليها معتقد أهل السُّنَّة والجماعة، ولا قيام للمعتقد الحق إلا على هذه الأسس الثلاثة.

ولهذا نبه رَحِمَهُ ٱللَّهُ على هذا المعنى بأن من أخلَّ بواحدةٍ من تلك الأسس الثلاثة فقد ضل، من فقد واحدة من هذه الأسس الثلاثة فقد ضل، لا يُحصل المعتقد الحق ولا يصيبه إلا إذا أقام اعتقاده على هذه الأسس، فهي من الأهمية بمكان، وكما ذكرت كان كثيرًا -رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْهِ- ما يقرر هذه الأسس، ويستدلها، ويوصي بالعناية بها في كتبٍ كثيرةٍ له وفي دروسٍ عديدة.

وقوله في مبدأ كلامه على هذه الأسس (**اعلموا**)؛ هذه يؤتى بها في الأمر الذي له أهمية، ويحتاج إلى لفت انتباه القارئ أو السامع إليه، "اعلم، أو اعلموا" وفي القرآن من هذا جاء شيءٌ كثير، وجُل ما جاء في القرآن من هذا القبيل "اعلم أو اعلموا" جل ذلك في الصفات، وهذا فيه لفت انتباه إلى أن علم توحيد الأسماء والصفات علم عظيم من أكبر العلوم وأجلها وأهمها على الإطلاق؛ لأنه العلم الذي يقوم عليه دين العبد كلما ازداد معرفةً بالله وبأسمائه وصفاته وعظمته، وأنه المعبود بحق ولا معبود بحقٍ سواه، وقامت عنده البراهين والدلائل على ذلك، صح إيمانه، وقوي يقينه، وحسُنت صلته بالله عَزَّوَجَلَّ، وبُعد عن ما يسخطه، إلى غير ذلك من الثمار والآثار.

قال: (**اعلموا أن مبحث آيات الصفات دل القرآن العظيم أنه يرتكز على ثلاثة أسس**)؛ قوله: (**دل القرآن العظيم**)؛ فيه أن الأسس الثلاثة التي عليها قيام المعتقد الحق مستمدة من القرآن العظيم، وأيضًا وسيأتي تأكيده على هذا المعنى قال: وكل هذه الأسس الثلاثة يدل عليها القرآن العظيم، فهي ليست من إنشاء عالم، أو اختراع أحد وإنما هي أسس أُخذت بالاستقراء والتتبع والعلم بدلائل كتاب الله وسُنَّة نبيه -صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ- ، ولهذا سيأتي عند المصنف عقب كل أساسٍ من هذه الأسس ذكر الدلائل عليه من القرآن.

قال: (**أنه يرتكز على ثلاثة أسس من جاء بها كلها فقد وافق الصواب، وكان على الاعتقاد الذي كان عليه النبي** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، **وأصحابه والسلف الصالح، ومن أخل بواحدٍ من تلك الأسس الثلاثة فقد ضل، وكل هذه الأسس الثلاثة يدل عليها قرآنٌ عظيم**)؛ ثم بدأ ببيانها.

قال: (**أحد هذه الأسس الثلاثة**)؛ أريد أن أذكركم بكلامي بالأمس حول طبعتين للكتاب، الطبعة الأولى هذه التي طُبعت في زمن المصنف مرتين، ولعله قام بتنقيحها بنفسه، والطبعة الثانية أُخذت من الشريط الذي ألقاه، فُرغ الشريط بنصه وطُبع، وأشرت إلى أن الأولى هي هذه الطبعة التي طُبعت في حياته مرتين، أما التي كانت إلقاءً فالملقي قد يكون في إلقاءه ما يتناسب مع مقام الإلقاء والخطابة، ولما يُحرر ما ألقى تجده يحذف بعض العبارات، فالطبعة التي هي تفريغ من الشريط فيها في هذا الموضع.

قال: (**أحد هذه الأسس الثلاثة الأول منها هو: التنزيه**)؛ هكذا جاءت العبارة هذه يمكن تصلح في الإلقاء، مثل أن أقول لكم: أحد هذه الأسس الثلاثة الأول من هذه الأسس الثلاثة التنزيه، تأتي جميلة في الإلقاء، وتلفت الانتباه، لكن لما تأتي مكتوبة تصبح العبارة ركيكة كتابتًا، (**أحد هذه الأسس الثلاثة الأول منها التنزيه**)؛ هذا ما

يصلح في مقام الكتابة، ولهذا لعل الشيخ نفسه نقح وخرجت بهذه الصياغة، فالأولى هذه الطبعة التي بين أيديكم، وهي التي طُبعت في حياته مرتين، وبعد وفاته مراتٍ كثيرة.

قال: (**أحد هذه الأسس الثلاثة هو: تنزيه الله جَلَّوَعَلَا عن أن يُشبه بشيءٍ من صفاته شيئًا من صفات المخلوقين**)؛ أو بأن يُشبه بشيءٍ من صفاته شيئًا من صفات المخلوقين، وهذا فيه إبطال التشبيه؛ تشبيه الله تَبَارَكَوَتَعَالَى بالمخلوقين، والتشبيه باطل؛ سواءً شُبه الخالق تنزه وتقدس بالمخلوق، أو شُبه المخلوق الضعيف الناقص بالخالق العظيم، ولهذا قال العلماء: "التشبيه نوعان، وكلًا منهما باطلٌ وضلال: تشبيهٌ للخالق بالمخلوق، وتشبيهٌ للمخلوق بالخالق".

قال: الأساس الأول: (**تنزيه الله جَلَّوَعَلَا عن أن يُشبه بشيءٍ من صفاته شيئًا من صفات المخلوقين**)؛ يعني: أن يُقال بالتشبيه، تشبيه الخالق تنزه وتقدس بالمخلوق، (**وهذا الأصل يدل عليه قوله تعالى**: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [سورة الشورى، من الآية:١١]، ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [سورة الإخلاص، من الآية:٤]، ﴿فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ﴾ [سورة النحل، من الآية:٧٤])، أيضًا قوله: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا﴾ [سورة البقرة، من الآية:٢٢]، وقوله تعالى: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ [سورة مريم، من الآية:٦٥]؛ فهذه الآيات كلها تدل دلالةً واضحةً على بطلان التشبيه.

إذًا هذا أساس يقوم عليه معتقد أهل السُّنَّة والجماعة أنهم يُنزهون الله عن التشبيه، فليس شيءٌ من التشبيه قائمٌ في قلوبهم، وليس شيءٌ من التشبيه متحركةٌ به ألسنتهم، فهم بريؤون من ذلك كله في سلامة القلب منه وسلامة اللسان، فلا يخوضون فيه؛ لأن عقيدتهم قائمة على تنزيه الله جَلَّوَعَلَا، تنزيه الله عن مشابهة المخلوقات، والأدلة على تنزيه الله عن المشابهة كثيرة منها هذه التي أوردها المصنف.

المتن:

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى: الثاني من هذه الأسس: هو الإيمان بما وصف الله به نفسه؛ لأنه لا يصف الله أعلم بالله من الله، ﴿ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ﴾ [سورة البقرة، من الآية:١٤٠]؛ والإيمان بما وصفه به رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لأنه لا يصف الله بعد الله أعلم بالله من رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، الذي قال في حقه: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾ [سورة النجم، من الآية:٣-٤]؛ فيلزم كل مكلفٍ أن يؤمن بما وصف الله به نفسه، أو وصفه به رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ويُنزه ربه جَلَّوَعَلَا عن أن تُشبه صفته من تنطع بين يدى رب السموات والأرض، وتجرأ على الله بهذه الجرأة العظيمة..

الشرح:

أعد، أعد من قوله: (**فيلزم**).

المتن:

فيلزم كل مكلفٍ أن يؤمن بما وصف الله به نفسه، أو وصفه به رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ويُنزه ربه جَلَّ وَعَلَا عن أن تُشبه صفته من تنطع بين يدى رب السموات والأرض، وتجرأ على الله بهذه الجرأة العظيمة..

الشرح:

عندكم سقطٌ..

المتن:

(يمكن في نقص عندنا سطر)، فيلزم كل مكلفٍ أن يؤمن بما وصف الله به نفسه، أو وصفه به رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ويُنزه ربه جَلَّ وَعَلَا عن أن تُشبه صفته صفة الخلق، وحيث أخل بأحد هذين الأصلين وقع في هوة ضلالٍ.

الشرح:

هذا الأساس الثاني من الأسس التي يقوم عليها المعتقد الحق، معتقد أهل السُّنَّة والجماعة، قال: (**هو الإيمان بما وصف الله به نفسه؛ لأنه لا يصف الله أعلم بالله من الله،** ﴿ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ﴾[سورة البقرة، من الآية:١٤٠]؛ **والإيمان بما وصفه به رسوله** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ **لأنه لا يصف الله بعد الله أعلم بالله من رسول الله** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، **الذي قال في حقه:** ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾[سورة النجم، من الآية:٣-٤])؛ هذا الأساس الثاني الذي يقوم عليه معتقد أهل السُّنَّة والجماعة في هذا الباب، أنهم يصفون الله في حدود ما جاء في القرآن والحديث، وقد سمعنا لفظ الإمام أحمد، قال: "نصف الله بما وصف به نفسه، وبما وصفه به رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لا نتجاوز القرآن والحديث"، فهم لا يتجاوزون كتاب الله وسُنَّة رسوله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، مثل ما قال الأوزاعي رَحِمَهُ اللَّهُ: "ندور مع السُّنَّة حيث دارت"، أي: نفيًا وإثباتًا، "فما ثبت في الكتاب والسُّنَّة أثبتناه، وما نُفي في الكتاب والسُّنَّة نفيناه"، فمنهجهم قائم على الاعتماد على الكتاب والسُّنَّة في باب الإثبات والنفي فيما يثبتونه لله وما ينفونه عنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

وقال في تعليل هذا الالتزام، وسبب هذا التمسك والاعتصام، قال فيما يتعلق بأوصاف الله التي وصف بها نفسه، قال: لأنه لا أحد أعلم بالله من الله ﴿ءَأَنتُمۡ أَعۡلَمُ أَمِ ٱللَّهُ﴾[سورة البقرة، من الآية:١٤٠] ولهذا تعتبر جرأة عظيمة ليس بعدها جرأة أن يُثبت الله عَزَّوَجَلَّ لنفسه أوصافًا فينفيها بعض المخلوقين، مثل أن يُثبت في.. وهذه سيتكلم عنها المصنف ويوضحها لاحقًا، مثل أن نجد في القرآن آيات كثيرة يُثبت فيها الاستواء لنفسه، ثم يقول بعض المخلوقين لا يليق به الاستواء، الاستواء يلزم منه كذا وكذا فلا يليق به، أو مثلًا يُثبت لنفسه اليدين كما في آياتٍ من القرآن؛ فيقول بعض المخلوقين: لا تليق في حقه اليدين، نحن ننزه عن ذلك، ﴿ءَأَنتُمۡ أَعۡلَمُ أَمِ ٱللَّهُ﴾[سورة البقرة، من الآية:١٤٠]؟ الله جَلَّوَعَلَا يُثبت لنفسه وأنت تنفي!

فالطريقة هنا لأهل السُّنَّة أن نصف الله بما وصف به نفسه؛ لأنه لا أحد أعلم بالله من الله هو أعلم تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ بنفسه جل وعز، فما أثبته لنفسه أثبتناه، أما ذاك الجريء الذي ينفي ما أثبته الله، فما أساس هذه الجرأة؟! أيرى نفسه أعلم بأوصاف الله من الله حتى ينفي عن الله ما أثبته الله لنفسه؟ فهذه جرأة عظيمة ليس وراءها جرأة.

قال: (**والإيمان بما وصفه به رسوله** صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ)؛ لماذا؟ قال: (**لأنه لا يصف الله بعد الله أعلم بالله من رسول الله** صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ)؛ وهذا الرسول عَلَيۡهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ قال عن نفسه كما في الصحيح: «**إِنَّ أَتْقَاكُمْ بِاللهِ وَأَعْلَمَكُمْ بِاللهِ أَنَا**»، هكذا قال، فهو أعلم الناس بالله -صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ-، ثم كل ما يقول في حق الله وحي، ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ۝٣ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ﴾[سورة النجم، من الآية:٣-٤]؛ فكل ما يقوله في حق الله وحيٌ من رب العالمين، ﴿قُلۡ إِنَّمَآ أُنذِرُكُم بِٱلۡوَحۡيِ﴾[سورة الأنبياء، من الآية:٤٥]؛ فكلامه وحيٌ من الله عَزَّوَجَلَّ، كلامه معصوم، ولهذا جاء في القرآن قول الله سُبۡحَانَهُوَتَعَالَىٰ: ﴿سُبۡحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلۡعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ۝١٨٠ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلۡمُرۡسَلِينَ ۝١٨١ وَٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [سورة الصافات، من الآية:١٨٠-١٨٢]؛ قال العلماء: نزه تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ نفسه عما يصفه به أعداء الرسل، وسلَّم على المرسلين لسلامه ما قالوه في حق الله من النقص والعيب، كل ما يقولونه في حق الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ سالم، ولهذا سلَّم عليهم في هذا السياق؛ سياق التنزيه، قال: ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾ [سورة الصافات، من الآية:١٨١]؛ قال العلماء: سلَّم عليهم لسلامه ما قالوه في حق الله من النقص والعيب؛ لأنه وحي، كلامٌ معصوم لا يتطرق إليه الخطأ أو الزلل.

أما كلام البشر فعرضه للخطأ، فكيف يتجرأ الإنسان أن يخوض في هذا الباب بلا مستند؟! إذًا طريقة أهل السُّنَّة والجماعة قائمة على هذا الأساس أن نصف الله بما وصف به نفسه، وأن نصفه بما وصفه به رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قال في التأكيد على هذا المنهج بعد أن ذكر برهانه، قال: (**فيلزم كل مكلفٍ أن يؤمن بما وصف الله به نفسه، أو وصفه به رسوله** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، **ويُنزه ربه** جَلَّ وَعَلَا **عن أن تُشبه صفته صفة الخلق**)؛ قوله: (**فيلزم كل مكلفٍ أن يؤمن بما وصف الله به نفسه، أو وصفه به رسوله** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)؛ هذا يرجع إلى الأساس الثاني، وقوله: (**ويُنزه ربه** جَلَّ وَعَلَا **عن أن تُشبه صفته صفة الخلق**)؛ هذا يرجع إلى الأساس الأول، فلما ذكر الأساسين الأول والثاني أكد أن الواجب على كل مكلف أن يلزم هذين الأساسين:

- فلا يصف الله عَزَّ وَجَلَّ إلا بما وصف به نفسه، وبما وصفه به رسوله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.
- والأساس الثاني: أن يكون منزهًا لله أن تُشبه صفته صفة الخلق.

(**وحيث أخلَّ بأحد هذين الأصلين وقع في هوة ضلالٍ**)؛ وكأن الشيخ يُلمح هنا الماحةً إلى سبب الضلال في باب الصفات، ما هو؟ إما من جهة الفساد في باب التنزيه، أو من جهة الفساد في باب الإثبات، والضلال في باب الصفات لا يخرج عن هذين:

- إما ضلالٌ من جهة التنزيه فيكون صاحبه لا يُنزه الله جَلَّ وَعَلَا؛ كحال المكيفة والممثلة.
- أو يكون ضلاله من جهة الاثبات فلا يُثبت لله تَبَارَكَ وَتَعَالَى أوصاف كماله، ونعوت جلاله؛ فيُعطل، أو يحرض، أو يفوض تفويض أهل البدع، تفويض المعاني، فهذا كله من الضلال الذي يتعلق بجانب الإثبات.

قال: (**وقع في هوة ضلالٍ**)؛ نعم..

المتن:

وقع في هوة ضلالٍ؛ لأن من تنطع بين يدى رب السموات والأرض، وتجرأ على الله بهذه الجرأة العظيمة، ونفي عن ربه وصفًا أثبته لنفسه، فهذا مجنون فالله جَلَّ وَعَلَا يثبت لنفسه صفات كمالٍ وجلال، فكيف يليق لمسكينٍ جاهل أن يتقدم بين يدي رب السماوات والأرض، ويقول: هذا الذي وصفت به نفسك لا يليق بك

ويلزمه من النقص كذا وكذا! فأنا أؤوله وألغيه وآتى ببدله من تلقاء نفسي من غير استنادٍ إلى كتابٍ أو سُنَّة، سبحانك هذا بهتانٌ عظيم!

ومن ظن أن صفة خالق السموات والأرض تُشبه شيئًا من صفات الخلق فهذا مجنونٌ، جاهلٌ، ملحدٌ، ضال، ومن آمن بصفات ربه جَلَّوَعَلَا منزهًا ربه عن تشبيه صفاته بصفات الخلق، فهو مؤمنٌ منزهٌ سالمٌ من ورطة التشبيه والتعطيل، وهذا التحقيق هو مضمون: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[سورة الشورى، من الآية:١١].

الشرح:

الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ لما ذكر الأصلين وصف الله بما وصف به نفسه، وبما وصف به رسوله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، والأصل الثاني الذي هو التنزيه، أشار إلى أحوال الناس مع هذين الأصلين، وبيَّن ما يترتب على كل حالٍ من هذه الأحوال.

فقال أولًا: (**لأن من تنطع**)؛ والتنطع: هو التكلف، التكلف في الكلام وفي القول، وفي الحديث: «**هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ**»، المتنطع هو الذي يتكلف في كلامه ويتكلف في فعله ما لا أساس له ولا أصل عليه؛ لأن من تنطع بين يدي رب السماوات والأرض، وتجرأ على الله بهذه الجرأة العظيمة، ونفى عن ربه وصفًا أثبته لنفسه، يعني: خرج عن باب الذي هو لزوم الأصل الذي هو وصف الله بما وصف به نفسه ووصفه به رسوله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وتجرأ في هذا الباب فنفى ما وصف الله به نفسه، أو نفى ما وصفه به رسوله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، يقول: من تجرأ على ذلك فهو مجنون؛ لأن هذا الفعل لا يصدر من عاقل من سوي، وإلا كيف يليق بعاقل، أو يصح من سوي عقلٍ أن يُثبت الله جَلَّوَعَلَا لنفسه صفاتٍ فينفيها هو! أو يُثبت الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لربه صفات بالوحي فينفيها هو، هذا لا يصدر من سوي عقله.

ولهذا قال الشيخ (**فهذا مجنون، فالله جَلَّوَعَلَا يثبت لنفسه صفات كمالٍ وجلال، فكيف يليق لمسكينٍ جاهل أن يتقدم بين يدي رب السماوات والأرض، ويقول: هذا الذي وصفت به نفسك لا يليق بك ويلزمه من النقص كذا وكذا! فأنا أؤوله وألغيه وآتى ببدله من تلقاء نفسي من غير استنادٍ إلى كتابٍ أو سُنَّة**)؛ وهذه حال معطلة الصفات ومؤولة الصفات، هذه حالهم، ومثلت لكم ببعض الأمثلة في صفة الاستواء، الله جَلَّوَعَلَا في آياتٍ كثيرة وصف نفسه به، قال: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾[سورة طه، من الآية:٥]؛ تجد هؤلاء ينصون صراحةً، ويقولون

بصراحة: الاستواء لا يليق بالله، الاستواء يلزم منه كذا، ويلزم منه كذا، ويلزم منه كذا، ويعددون لوازم كثيرة، فيقولون: الاستواء لا يليق بالله.

طيب، إذا كان لا يليق به ما الذي يليق به؟ قالوا: نبدله، نلغيه ونأتي ببدله، ما البديل؟ قالوا: استولى أحسن من استوى، أما استوى ما تصلح لله، ولا تليق به، والله عَزَّوَجَلَّ يُنزه عن ذلك، نعم ذكر هذا عن نفسه لكن ما يصلح له، نحن الذين نعرف الذي يصلح والذي يليق به، الذي يليق به استولى، استولى هذه مناسبة له، أما استوى غير مناسبة، لاحظ الجرأة العظمية! رب العالمين يُثبت ثم يلغون ما أثبت ويضعون من قبل أنفسهم البديل، ثم إذا نظرت في البديل الذي وضعوه عليه من المآخذ الشيء الكثير، وليس له دليل، لا من اللغة، ولا من الفهم الصحيح، ولا عليه مستند من الكتاب والسُّنَّة، وإنما أمر تكلفوه وتنطعوا بالمجيء به جرأةً بين يدي الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، فانظر هذا النفس العظيم الذي يُعبر ويصوغه الشيخ هنا وهو يصوغه عن ألم لواقع أولئك.

يقول: (**فكيف يليق بمسكينٍ جاهل أن يتقدم بين يدي رب السماوات والأرض، ويقول: هذا الذي وصفت به نفسك لا يليق بك ويلزمه من النقص كذا وكذا! فأنا أؤوله وألغيه وآتى ببدله من تلقاء نفسي من غير استنادٍ إلى كتابٍ أو سُنَّة، سبحانك هذا بهتانٌ عظيم!**)؛ ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [سورة الصافات، من الآية: ١٨٠]؛ كما جاء في القرآن؛ يعني: عما يصف به المخالفون للرسل ولنهج المرسلين -عليهم صلوات الله وسلامه-.

قوله: (**فأنا أؤوله وألغيه وآتى ببدله من تلقاء نفسي**)؛ هذا الذي عليه أرباب الكلام وأهل البدع في هذا الباب، إلغاء الثابت ووضع البدائل من قبل أنفسهم، واقرأ هذا في عامة كتبهم، تجده ينفي ما أثبته الله لنفسه، أو ما أثبته له رسوله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ثم يضع البديل.

لكن لهم طريقة في هذا الباب أشار إليها شيخ الإسلام ابن تيمية حتى لا تظهر الشناعة عليهم واضحةً أمام من يقرأ، ما يقول: القرآن الكريم فيه إثبات الاستواء لله ونحن نرى أنه لا يليق بالله، أو في السُّنَّة النبوية، إثبات صفة كذا وكذا، ونحن نُلغيه، لا يقولون ذلك بهذه الطريقة، لكن ماذا؟ يقول ابن تيمية: جعلوا أهل السُّنَّة جُنة لهم، لرد ما جاء في الكتاب والسُّنَّة، فماذا يقولون؟ يقولون: قالت الحشوية، قالت المشبهة كذا، المشبهة الذين يصفون المشبهة قرأوا الآيات وأثبتوا ما فيها، فلا ينصب حديثهم على الآيات مباشرة، وإنما يبدؤون الحديث بـ قالت الحشوية إن الله مستوي على العرش، والاستواء على العرش يلزم منه كذا وكذا، وكذا، ويذكرون لوازم، وهو لا يليق بالله بهذه الطريقة يقررون، وهو لا يليق بالله، فالذي يليق بالله كذا، ثم لما ينتهوا من تقرير

هذه المسألة فإن قالت الحشوية: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [سورة طه، من الآية:٥]؛ قلنا لهم: المراد بالاستواء كذا.

ما يذكر المسألة هكذا ابتداءً بدون ذكر أهل سُنَّة أو غيرهم، ويبدأ يوجه اعتراضات على القرآن؛ لا، يجعل أهل السُّنَّة جُنةً له؛ لرد ما جاء في الكتاب والسُّنَّة.

النزول؛ فيه أحاديث كثيرة ما يأتي في للنصوص مباشرة، وإنما يقول: قالت الحشوية: أن الله ينزل، قالت الحشوية: أن الله ينزل إلى السماء الدنيا، والنزول يلزمه، ويذكرون اللوازم العقلية التي يبطلون بزعمهم بها النزول، نزول الرب سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، ثم يقررون الذي يقررونه عقلًا، ثم يقولون: إن قالت الحشوية جاء في الحديث: «**يَنْزِلُ رَبُّنَا**»، إما رد الحديث بعضهم يرد الحديث ويقول هذا ليس متواتر مع أنه حديث متواتر، والآحاد لا يُقبل في باب الاعتقاد، أو يقولون: هذا الحديث معناه كذا، أو يتطلبون ألفاظ شاذة في الحديث لم تصح؛ فيجعلون عليها المعول، أو أي طريقةٍ كانت يفتعلونها لرد الحديث الذي ثبت عن النبي -صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ-.

ثم انتقل إلى الجانب الآخر يعني قوله الآن: (**لأن من تنطع**)؛ هذا يتعلق بالأصل الذي هو وصف الله بما وصف به نفسه، فمن لم يعتمد على هذا الأصل وتنطع في هذا الباب ونفى، فقد ضل، (**ومن ظن أن صفة خالق السموات والأرض تُشبه شيئًا من صفات الخلق فهذا مجنونٌ، جاهلٌ، ملحدٌ، ضال**).

ثم ذكر المسلك الثالث الذي عليه أهل السُّنَّة في هذا الباب قال: (**ومن آمن بصفات ربه** جَلَّوَعَلَا **منزهًا ربه عن تشبيه صفاته لصفات الخلق، فهو مؤمنٌ منزهٌ سالمٌ من ورطة التشبيه والتعطيل**)؛ الورطة اختيار الشيخ لهذه اللفظة هنا جميل، الورطة هي كل أمرٍ يتعسر النجاة منه، يعني إذا دخل الإنسان وولج تعسر النجاة منه، إلا أن يشاء الله عَزَّوَجَلَّ له النجاة، فهذه تُسمى ورطة، ولهذا جاء عن ابن عمر كما في صحيح البخاري وغيره أنه قال: "إن من ورطات الأمور التي لا مخرج لمن أوقع نفسه فيها، سفك الدم الحرام بغير حلة"، يعني: أن يسفك دمًا حرام بغير حل، لكن الشاهد عبارة ابن عمر، وفيها توضيح للورطة ما هي، قال: "إن من ورطات الأمور التي لا مخرج لمن أوقع نفسه فيها" فالورطة هي التي لا مخرج لمن أوقع نفسه فيها إلا أن يشاء الله عَزَّوَجَلَّ له ذلك.

ولهذا عبارة الشيخ هنا اللفظة هنا جميلة قال: (**فهو مؤمنٌ منزهٌ سالمٌ من ورطة التشبيه والتعطيل**)؛ إذًا الصنفين الأولين من وقعوا في التعطيل، أو من وقعوا في التشبيه هم في الحقيقة في ورطة، ورطوا أنفسهم في أمر

يتعسر عليهم الخروج منه إلا أن يشاء الله لهم النجاة بالعودة الصادقة الميمونة إلى كتاب الله وسُنَّة نبيه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

قال: (**وهذا التحقيق**)؛ يعني الذي عليه هؤلاء أهل السُّنَّة، (**هو مضمون**: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [سورة الشورى، من الآية:١١])؛ يعني: هو مضمون هذه الآية؛ لأن الآية جمعت بين الأصلين، الإثبات في قوله: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [سورة الشورى، من الآية:١١]، والتنزيه في قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ﴾ [سورة الشورى، من الآية:١١]؛ فجمعت الآية بين الأصلين الإثبات والتنزيه، فقول أهل السُّنَّة في هذا الباب قائم على هذه الآية وعلى غيرها من آي الكتاب وأحاديث الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

ثم أخذ يُبيِّن وجه كون المعتقد الذي عليه أهل السُّنَّة والجماعة في باب الصفات هو مضمون هذه الآية، فقال..

المتن:

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى: فهده الآية فيها تعليمٌ عظيم يحل جميع الإشكالات، ويُجيب عن جميع الأسئلة حول الموضوع، ذلك لأن الله قال: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[سورة الشورى، من الآية:١١]، بعد قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ﴾[سورة الشورى، من الآية:١١]؛ ومعلومٌ أن السمع والبصر من حيث هما سمعٌ وبصر يتصف بهما جميع الحيوانات، فكأن الله يُشير للخلق ألا ينفوا عنه صفة سمعه وبصره بادعاء أن الحوادث تسمع وتبصر وأن ذلك تشبيه، بل عليهم أن يثبتوا له صفة سمعه وبصره على أساس: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ﴾[سورة الشورى، من الآية:١١]؛ فالله جَلَّ وَعَلَا له صفاتٌ لائقةٌ بكماله وجلاله، والمخلوقات لهم صفاتٌ مناسبةٌ لحالهم، وكل هذا حقٌ ثابتٌ لا شك فيه.

الشرح:

هذا توضيح من الشيخ -رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْهِ- لدلالة الآية على هذا المنهج في الإثبات والتنزيه، وذكر هنا رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن مجيء قوله: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[سورة الشورى، من الآية:١١]، عقب قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ﴾[سورة الشورى، من الآية:١١]؛ فيه دلالةٌ واضحة أن إثبات الصفات لله جَلَّ وَعَلَا على الوجه اللائق بجلاله وكماله لا يلزم منه تشبيه الله بالمخلوقات، وهذه لفتة جميلة في التنبيه على معنى الآية، الآية فيها نفي التمثيل: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ﴾، وعقب

نفي التمثيل مباشرة قال رب العالمين: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾؛ عقب نفي التمثيل مباشرة في الآية نفسها قال: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾؛ فأثبت لنفسه السمع والبصر مباشرةً عقب نفيه للمثل، للمثيل، قال: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾.

فقال الشيخ في إثبات السمع والبصر عقب نفي المثلية دليلٌ على أن إثبات الصفات على الوجه اللائق بالله لا يلزم منه ماذا؟ التمثيل، والسمع والبصر مثل ما أشار الشيخ هي من الصفات التي يتصف بها المخلوق ﴿إِنَّا خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن نُّطۡفَةٍ أَمۡشَاجٖ نَّبۡتَلِيهِ فَجَعَلۡنَٰهُ سَمِيعَۢا بَصِيرًا﴾ [سورة الإنسان، من الآية:٢]؛ فالمخلوق يتصف بالسمع ويتصف بالبصر.

فهل إذا قلنا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٞ﴾[سورة الحج، من الآية:٧٥]؛ ونحن نُثبت له هذا الوصف على وجهٍ يليق بجلاله وكماله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ هل مثلنا؟ الآية تدل على أن من يُثبت لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ الصفات على الوجه اللائق به لم يمثل، وجه الدلالة ما هو؟ أن الرب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أثبت لنفسه السمع والبصر عقب نفيه للمثلية، فمن لم ينتبه لهذا الباب ينزلق؛ فتجده يمتنع عن إثبات الصفات لله عَزَّوَجَلَّ تخوفًا من التشبيه، أو يظن أن إثباته لها تشبيه، فتجده مثلًا اليد عندما يقرأها في القرآن يمتنع من إثباتها، وإذا باحثته عن سبب امتناعه من إثباتها يقول: لو أثبتنا لله يدًا حقيقيةً لشبهناه.

مثلها أيضًا الكلام في السمع والبصر، يقول: لو أثبتنا لله سمعًا وبصرًا حقيقًا لشبهناه بالمخلوق؛ فالآية رد على هؤلاء، ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾؛ فيها دلالةٌ بينة أن إثبات الصفات لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لا يلزم منه التشبيه.

يقول: (**لأن الله قال**: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾؛ **بعد قوله**: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ﴾)؛ بعده مباشرة في الآية نفسها، ماذا في هذا من فائدة؟ قال: (**ومعلومٌ أن السمع والبصر من حيث هما سمعٌ وبصر يتصف بهما جميع الحيوانات، فكأن الله يُشير للخلق ألا ينفوا عنه صفة سمعه وبصره بادعاء أن الحوادث تسمع وتُبصر**)؛ يعني هذا مسلك فاسد أن ينفي الإنسان عن الله صفة بادعاء أنها موجودة في المخلوقات هذا مسلك فاسد، عرفنا أنه مسلك فاسد من الآية، من الآية عرفنا أنه مسلك فاسد.

أنا أذكر مرة دار بيني وبين شخص حوار في هذا الباب، وهو من المعطلة، قرأ عليَّ الآية: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾[سورة المائدة، من الآية:٦٤]؛أو قرأ: ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾[سورة الفتح، من الآية:١٠]؛ قال بهذه الطريقة: قال: يد الله فوق أيديهم هذه جارحة، يده قدرته، يد الله فوق أيديهم وأشار إلى يده، قال: هذه جارحة يده قدرته، تأويل اليد بالقدرة سببه ماذا؟ سببه ما قام في نفسه من التشبيه، توهم أنه إن أثبت شبه، هذا التوهم الذي تسرب إلى قلوب هؤلاء فأفضى بهم إلى التعطيل معالجته في الآية: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾؛ مباشرة بعد نفي المثلية أثبت السمع والبصر، فهذا فيه تنبيه إذا أثبت لله الصفة على الوجه اللائق به لم تُمثل.

ولهذا الإمام أحمد لما سُئل: من الممثل؟ ماذا قال؟ قال: الذي يقول: يدٌ كأيدينا، سمعٌ كسمعنا، بصرٌ كبصرنا، والله يقول: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾؛ هذا كلام الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ، هذا الممثل، الممثل الذي يقول: يدٌ كأيدينا، سمعٌ كسمعنا، بصرٌ كبصرنا، أما إذا قلت: الله سميع بصير، له يد، وله علم، وله سمع، وله بصر، تليق به وبجلاله وكماله، ويخصه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ لأن الإضافة تقتضي التخصيص، فما يضاف إلى الله يخصه ويليق به؛ فحينئذٍ ما ثمة تمثيل ولا ثمة تشبيه.

فإذًا الآية فيها مداواة ومعالجة لهذا الأمر، قلت لذاك الرجل لما قال لي كلامه هذا مشيرًا إلى يده، قلت له: لماذا أنت تشبه الله بالمخلوقات؟ قال: أنا لا أشبه، قلت: أنت تُشبه الله بالمخلوقات؛ لأنك تقرأ الآية التي فيها صفة الله وتشير إلى يدك! وهذا عين التشبيه، قلت: هذا التشبيه الذي صرت إليه هو الذي جعلك تقول: اليد هي القدرة، ولو أنك سلمت من هذا التشبيه سلمت من ذاك التعطيل، وأهل السُّنَّة والجماعة قلت له: ليس عندهم هذا التشبيه الذي عندك، وليس عندهم أيضًا هذا التعطيل الذي عندك، سلموا من الآفتين، وأنت لما توهمت التشبيه وقعت في الآفتين، آفة التشبيه وآفة التعطيل، وأهل السُّنَّة سلموا من الآفتين، قلت له: نقرأ الآية وما يخطر ببالنا أيدينا، قلت له: سبحان الله! كيف يخطر ببالك يدك وأنت تقرأ الآية ورب العالمين يقول: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾[سورة الزمر، من الآية:٦٧]؛ كيف تخطر ببالك يدك هذه؟! وتقرأ الآية وأنت تشير إلى يدك إلى يد نفسك؟! فهذا الوهم الذي وقعت فيه هو الذي أفضى بك إلى أنك تُعطل الآية بإعطائها معنىً آخر اليد القدرة، وإلا لو سلمت من هذه الآفة توهم التشبيه لسلمت من التعطيل ومن الأمور الأخرى، فالشاهد أن الآية هذه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾؛ فيها مداواة ومعالجة تامة لهذا الأمر.

قال: (**فكأن الله يُشير للخلق ألا ينفوا عنه صفة سمعه وبصره بادعاء أن الحوادث تسمع وتُبصر وأن ذلك تشبيهٌ، بل عليهم أن يُثبتوا لله صفة سمعه وبصره على أساس: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾؛ فالله جَلَّ وَعَلَا له صفاتٌ لائقةٌ بكماله وجلاله، والمخلوقات لهم صفاتٌ مناسبةٌ لحالهم، وكل هذا حقٌ ثابتٌ لا شك فيه**)؛ والقاعدة في هذا الباب أن الإضافة تقتضي التخصيص فما يُضاف إلى الرب العظيم الكامل يُخصه ويليق به، وما يُضاف إلى المخلوق الضعيف الناقص يُخصه ويليق به، وإذا كان هذا المعنى نحن نعقله بين مخلوقٍ ومخلوق فكيف لا نعقله بين مخلوقٍ وخالق؟

الآن عندما نقول: قوة الأسد وقوة النملة، هل يلزم من إثباتنا قوةً للنملة أن نكون قد شبهانا بقوة الأسد؟ هل يلزم أن يكون من إثباتنا أن يدًا للنملة أن نكون شبهانا بيد الأسد؟ هذا أمر نعقله بين مخلوقٍ ومخلوق، فكيف به بين خالقٍ ومخلوق؟! نحن نعقل بين مخلوقٍ ومخلوق أن الإضافة تقتضي التخصيص، عندما تُضاف الصفة إلى مخلوق وتُضاف إلى مخلوقٍ آخر تجد المعنى أخذ ما يناسب المخلوق الآخر، هذا أمر نعقل نحن بين مخلوق ومخلوق، فكيف يتجرأ هؤلاء ويقولون: يلزم من إثبات الصفة لله حقيقةً أن تكون مثل صفتنا! هذا لم يلزم بين مخلوقٍ ومخلوق.

الآن مثلًا الوجه، الوجه هذه الكلمة ومعناها هي بحسب ما أضيف إليه، وتتناسب مع ما أضيفت إليه، وجه النهار، وجه المسألة، وجه الإنسان، وجه الأسد، وجه كذا، تجدها بحسب ما أُضيفت إليه، وهي في كلٍ بما يتناسبه، فإذا أضيفت إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ كانت خاصةً به، لائقةً بجلالة؛ فالإضافة تقتضي التخصيص، ولهذا يجب على من أثبت الصفات ألا يخطر بباله وألا يدور في خلده وخياله الشيء الذي هو في المخلوق، لماذا؟ لو خطر في باله هذا وأثبته، أو وجد عنده، فهو إما سينزله في التشبيه؛ حال المشبهة، أو يريد أن يتخلص منه بالتعطيل، والسلامة من ذلك كله أن يكون ماذا؟ الإنسان على السلامة والبراءة من التشبيه والتعطيل، أو بعبارة المصنف: (**من ورطة التشبيه والتعطيل**).

المتن:

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إلا أن صفة رب السماوات والأرض أعلى وأكمل من أن تُشبه صفات المخلوقين، فمن نفي عن الله وصفًا أثبته لنفسه فقد جعل نفسه أعلم بالله من الله، سبحانك هذا بهتان عظيم، ومن ظن أن صفة ربه

تشبه شيئًا من صفة الخلق فهذا مجنونٌ ضالٌ ملحدٌ لا عقل له يدخل في قوله: ﴿تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ۝٩٧ إِذ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾[سورة الشعراء، من الآية:٩٧]؛ ومن يسوى رب العالمين بغيره فهو مجنون.

الشرح:

ثم أيضًا استخرج لتأكيد هذا المعنى والزيادة في تقريره، فأعاد العبارة مرةً ثانية، قال: (**إلا أن صفة رب السماوات والأرض أعلى وأكمل من أن تُشبه صفات المخلوقين، فمن نفي عن الله وصفًا أثبته لنفسه فقد جعل نفسه أعلم بالله من الله، سبحانك هذا بهتان عظيم، ومن ظن أن صفة ربه تُشبه شيئًا من صفات الخلق فهذا مجنونٌ ضالٌ ملحدٌ لا عقل له يدخل في قوله: ﴿تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ۝٩٧ إِذ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾**[سورة الشعراء، من الآية:٩٧])؛ وهذه الكلمة يقولها أهل النار إذا دخلوها على وجه الندم والأسف على ما كانوا عليه، قالوا: ﴿تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ۝٩٧ إِذ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾؛ والتسوية: هي عدل غير الله بالله، فالممثل الذي مثل الله بخلقه أو مثل خلقه به سوى غير الله بالله، والله جَلَّوَعَلَا أخبر عن أهل النار أنهم يقولون فيها: ﴿تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ۝٩٧ إِذ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾؛ فتسوية غير الله بالله هذا من موجبات دخول النار وصلي عذابها، فالممثل ملحد، التمثيل كفر بالله، والممثل كافر بالله عَزَّوَجَلَّ؛ لأنه سوى غيره به، سوى المخلوق الناقص بالرب العظيم الكامل سُبْحَانَهُوَتَعَالَى.

قال: (**ومن يسوى رب العالمين بغيره فهو مجنون**)؛ يعني: يخوض في هذا الباب بغير عقلٍ.

ثم بعد ذلك انتقل رَحِمَهُٱللَّهُ لمناقشة المتكلمين، وسيأتي ذكره لاحقًا للأصل الثالث؛ لأنه قال ثلاثة أسس، فذكر الأساس الأول الذي هو السلامة من التنزيه، وذكر الأسس الثاني وهو الإيمان بما وصفه به نفسه وبما وصفه به رسوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، ثم سيأتي لاحقًا ذكره للأساس الثالث وهو قطع الطمع عن إدراك الكيفية؛ كيفية صفات الله عَزَّوَجَلَّ، والآن سيدخل المصنف رَحِمَهُٱللَّهُ في مناقشة قد تطول قليلًا مع المتكلمين، ونرجئ الكلام عليها إلى درسنا القادم -إن شاء الله-.

والله تعالى أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.